الدرس(٤) ((ربّنا إنّي أسكنتُ من ذريّتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحّرم ليُقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات)) [١] .

نشوء مدينة مكة المكرمة و الاسباب التي ظاهرت لازدهارها ، و هي :

١ـ الموقع الديني(وجود الكعبة المشرفة): قبل ظهور الاسلام الحنيف اِعتادت **العرب** وطبقاً للمراسيم التي ورثوها عن آباءهم وأجدادهم ابراهيم واسماعيل(عليهم السلام) **أن تؤدي مناسك الحج في العام مرتـين** ، وكانت قبيلة قريش تتولى ادارة كل شؤون الحجيج كتوفير الماء والطعام وغيرها ، **وعلى صعـيد آخـر وفي أثناء مناسك الحج فقد كان تُجار** قريش يعقدون الصفقات **التجارية مع قوافل الحجّاج** .

، وقد ساعد هذان العاملان على نمو تلك المدينة المقدسة وازدهار اقتصادها ، **واذا أضفنا العامل الثالث** وهو حرمة وقدسيّة بيت الله الحرام فيها في استقرار الأمن في تلك الربوع الطاهرة فيكون لهذا العامل الأثر المهم في ازدهار تجارتها ، ويَمثِّل هذا التألق اِستجابة لدعاء نبينا ابراهيم وزوجته هاجر وابنه اسماعيل حين اِسكنهم **الى جانب الكعبة المُظلمة** داعياً ربه((ربِّ اجعل هذا بلداً آمناً وأرزق أهله من **الثمرات)) [٢] .**

٢ـ الموقع التجاري: لعدم توفر مقلبات الزراعة في مكَّة المُكرَّمة قديماً ، فقد **اضطرَ** أهلها الى تأمين مستلزمات حياتهم عن طريق التجارة ، فكان تجّار الأعاجم يقدمون مكة المَكرَّمة فيبايعونهم ؛ فيشتري **تجّارها** بضاعتهم ثم يبيعونها الى حواليهم من العرب [٣] **وعلى** هذا فقد عقدَّ أولاد ـ عبد مُناف (وهو الجد الثالث لرسول الله ـ ص) هاشم ـ وعبدشمس ـ ونوفل ـ والمطلب ، عقوداً تجارية مع **ممالك الحبشة و فارس** [٤] واليمن على التوالي [٥] ، **وبعد توفر الامان** فيها ، **أبتكر** هاشم(**الجد الثاني لرسول** ـ ص) **مسارات** للقوافل التجارية بين اليمن والشام ، وكانت حلقة الوصل بينهما مكة **المُكرمة** حيث تقع منتصف الطريق ، وهكذا بدأت قريش تجارتها مع الخارج [٦] .

---

(١) سورة ابراهيم (١٤) : آلآية ٣٧ .

(٢)سورة البقرة (٢) : الآية ١٢٦ .

(٣) البغدادي ؛ أبو جعفر محمد بن حبيب بن أميّة بن عمروالهاشمي(ت ٢٤٥ هـ /٨٦٠م) المنمق في أخبار قريش ، تحقيق خورشيد أحمد فاروق ، بيروت عالم الكتب ط /١ ـ ١٤٠٥هـ : ٤٢.

(٤) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي :٢١٥/١ .

(٥) الطبري ؛ ابو جعفر محمد بن جرير(ت ٣١٠ هـ / ٩٢٣م) تاريخ الامم والملوك ، المطبعة الحسينية ط /١ القاهرة – ١٣٣٦هـ : ١٨٠/٢ .

(٦) المصدر السابق :١٨٠/٢.

٣- الموقع الريادي(تجارة وسدانة قريش): أدى ازدهار التجارة ووجود الكعبة المشرّفة الى اتساع مدينة مكة المُكرمة وأزدياد أهميتها الامر الذي أدى الى تعظم نفوذ وقوة قريش فكانت تتحكم بعصب الاقتصاد حيث حصلت على ثروات هائلة حتى بلغ سهم أحدهم ثلاثين ألف دينار ، ونتيجة لهذا الثرآء فقد تمكن اشراف قريش من الاستحواذ على بساتين وأماكن الاستجمام في الطائف [١] هذا من جهة ، والسيطرة على الشؤون الدينية من جهة أخرى من قبل السيد قصي(الجد الرابع لرسول الله -ص) وتسلمه زمام ومهام أدارة الشؤون المتعلقة بالحج والزيارة والطواف والسقايّة ورفادة الحاج وسدانة الكعبة وعمارتها وخدمتها بين رؤوساء بطون قريش ، وهكذا حصلت قريش على علو المنزلة ورفيع الدرجات العُليا بين عامة العرب وغيرهم .

ديانة قريش وأهل مكَّة: كانت شريعة التوحيد ضاربة في القِدمْ بين العرب وكان ذلك مما تمسَّكوا به من ملِّة أبيهم ابراهيم واسماعيل(عليهم السلام) [٢] ، فقد كانت ديانتهم هي بقايا الديانة الابراهيمية في الحجاز وما جاورها والتي وفدت اليهم وورثوها كابر عن كابرعن طريق(عدنان) الجد الأعلى للعدنايين ذريّة النبي أسماعيل(سكنة الحجاز وما جاورها من مدن نجد وتُهامة)والجد العشرين للنبي محمّد(ص). فقد تمسَّكوا بالديانة الحُنيفية التي كانت رائجة بينهم حتى ظهور الاسلام؛وأهمُها الاعتقاد بالله ، وتحريم زواج المحارم كالامّهات والبنات والاخوات وغيرهُنَّ ، ومنها التلبية في موسم الحج ، وغسل الجنابة ، وتكفين الموتى ودفنهم[٣] والاهتمام بحلاقة البدن وأزالة الشعر الزائد [٤] ، وكانوا يُحرّمون القتال في الاشهر الحرم؛ وانما سمّوا تلك الحرب بحرب الفجّار لان قد حرّمها عليهم وهم أشعلوا فتنتها ، فلذا قالوا: بأنّا قد فجرنا [٥] .

---

(١) الطبري ، تاريخ الملوك والأمم : ٢٢١/٢ .

(٢) الطبرسي ؛ رضي الدين ابو نصر الفضل ابن الحسن(ت ٥٤٨ هـ / ١٤٥٤م) الاحتجاج ، تحقيق حسن الخرسان ، منشورات دار النعمان النجف الاشرف – ١٣٦٨ : ١٨٩ .

(٣) الشهرستاني ؛ ابو الفتح محمد بن عبدالكريم بن ابي بكر(ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣م) الملل والنحل ، نشر مصطفر البابي الحلبي القاهرة – ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م : ٢٥٧/٢ .

(٤) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي :١٢/٣ .

(٥) الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١م) الميزان في تفسير القران ، تصحيح شيخ حسين الاعلمي ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ط ١/ بيروت – ١٩٩٧م :٢٧٢/٩ .

ظهور عبادة الاصنام عند العرب:

بالرغم من وجود الديانة الحنيفية السائدة عند العرب ، الاّ أن عبادة الأصنام قد تغلغلت في ربوع الحجاز لاحقاً وصارت سبباً لانحرافهم عن شريعة التوحيد ، ويعود ذلك لسببين ؛ وهما:

١ـ ان نبي الله اسماعيل بن ابراهيم الخليل(عليهما السلام) لمَّا سكن مكة المكرمة رزقه الله النسل الكثير حتى ملأوا الديار فجعلوها حصراً لهم حيث نفوا من كان فيها من العماليق فضاقت عليهم الأرض بما رحُبتْ ، فوقعت بينهم الحروب ، وأخرج بعضهم بعضاً ففسحوا في البلاد لطلب العيش ، وكان الذي ألجئهم الى عبادة الاوثان والاصنام ، انه كان لا يسافر من مكة مسافر الاّ أحتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً له ؛ فحيثما حلّوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة شوقاً لها وتعلّقا بها ، ثم آل بهم الأمر أن عدوا ما استحسوا ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا دين ابراهيم واسماعيل بعبادة الأوثان ، وهكذا [١] .

٢ـ ذكر المؤرخون أن شخصاً يدعى(عمرو بن لُحيّ) وهو جدُّ قبيلة خزاعة ، والذي كان يمتلك نفوذاً كبيراً في عصره ، ومنها سدانة البيت ، وكان قد سافر الى الشام ، وشاهد هناك جماعة من العمالقة يعبدون الأصنام ؛ فسألهم: ما هذه ؟ فقالوا : نستقي بها المطر ؛ وونتصر بها على العدو ، فسألهم أن يعطوه منها ، فاعطوه جملة منها؛ ومنها(هُبل) فقدم بها الى مكة ونصبها حول الكعبة ودعا الناس الى عبادتها [٢] ، وبالاضافة الى ذلك فقد نصب صنمي(أساف ونائلة) [٣] الى جانب الكعبة ودعا الناس الى عبادتها . وهكذا وضِعت اللبنات الاولى لعبادة الأصنام ، وقد نقل عن رسول الله أنه قال: رأيت عمرو بن لُحي في النار وهو أول من غيَّر دين اسماعيل ، ونصب الأوثان [٤] . وهكذا راجت الأصنام حتى كان لكل بيت في مكة صنم يعبدونه ، ولما فتح رسول الله(ص) مكة المُكرَّمة وجد حول البيت ثلاث مائة وثلاثين صنماً [٥] فكان هذان العاملان منطلقاً لانتشار عبادة الأصنام اضافة الى انتشار الجهل والخرافة ثم نزعت القبائل الى التفرد والاستقلالية بصنم معين ، والجدير ذكره أن عبدة الأصنام لم ينكروا وجود الله عزّوجّل بل انهم يؤمنون بانه خالق السموات والارض ، ولكنهم عبدوا الأصنام لطلب العون منها وما شابه ذلك [٦] .

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مطبعة السعادة القاهرة – ١٣٥٦هـ : ٢ / ١٨٨ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية : ١ـ ٢ / ١٧٩ .

(٣) المصدر السابـــــق : ١ ـ ٢ / ٨٤ .

(٤) إبن برهان الدين الحلبي ؛ أبو الفرج نورالدين علي بن ابراهيم بن احمد(ت ١٠٤٤ هـ / ١٦٣٥ م) السيرة الحلبية المسماة(إنسان العيون في سيرة الامين المأمون) دار الكتب العلمية ط /٢ بيروت – ١٤٢٧ هـ : ١٧ .

(٥) الأزرقي ، اخبار مكة : ١١٢١ .

(٦) ابن الكلبي ؛ ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب(ت ٢٠٤ هـ / ٨١٩م) كتاب الاصنام ، دار الكتب المصرية القاهرة – ١٩٩٥م : ٢٨.